مؤسسة غرباء لنشر التوحيد

الرد على أصحاب الشعائر









جمع وإعداد:



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، و نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أ ن محمداً عبدُه و رسولُه.

[يَاأَيها الذين آ مَنُوا اتقُوا اللهَ حَق تُقَا ته ولاتموتن إلا وأنتم مُسلمُون]

إن الذين يحكمون على الناس اليوم بالإسلام إنما أتوا من جهلهم بالإسلام الحق ، ولو أنهم عرفوا الإسلام الحق لعرفوا أن الناس اليوم ليسوا على شيء، فهم كفار مشركون، ويحتجون لشبهتهم بأن الناس اليوم تقول لا إله إلا الله وتأتي بالشعائر كالصلاة والحج والعمرة وغيرها، وماداموا يأتون بهذه الشعائر فهذا دليل على إسلامهم.

*****

ونحن بفضل الله عز وجل نرد على هذه الشبهة ، فنقول وبالله التوفيق:

كانت قريش قبل الإسلام متمسكة ببعض شعائر دين إبراهيم عليه السلام كالحج والعمرة والسعي والإفاضة ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حكم بكفرهم ولم ينفعهم تمسكهم بتلك الشعائر، ذلك أنهم كانوا يأتونها ويشركون بالله.

فإن قال قائل : إن مشركي قريش لم يكونوا يتلفظون بالشهادة بينما قومنا اليوم يقولون لا إله إلا الله فلا يمكن تكفيرهم.

قلنا: لا فرق – في الحكم – بين من يفهم معنى لا إله إلا الله ولا يقولها صدودا وإعراضا عنها وبين من يقولها وهو يجهل معناها، فكلاهما لم يأت بما دلت عليه ولم يعمل بمقتضاها.

هذا ولم يكن في مشركي قريش والعرب من حولهم من يقول لا إله إلا الله ويشرك بالله، فلم يكن يقولها يومذاك إلا من ترك الشرك وأراد الدخول في الإسلام، أما الناس اليوم فيقولونها ويشركون بالله ، فقولهم لا إله إلا الله مجرد ترديد لحروفها فقد جردوها من معناها الذي جهلوه.فلم يعد لقولهم لا إله إلا الله أي معنى ،إذ هي تنفي الشرك وهم يأتونه.

يحكم على المرء بالإسلام إذا قال لا إله إلا الله حينما تكون دلالة على استجابته لمنادي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت. وحتى لو قال المرء كلمة غير لا إله إلا الله وقد حقق التوحيد (مثل قوم جذيمة لما قالوا صبأنا) فإنه يحكم بإسلامه.

وبدل أن يقول المُقبِل على الدخول في الإسلام:

- أنا أعتقد بطلان الدين الذي كنت عليه

- أنا تارك له ومبغض له ولأهله

- أنا أكفّر أهله وأتبرأ منهم

ـ أنا أؤمن بأن الله هو المستحق للعبادة، فلا أعبد غيره بشعيرة من الشعائر ولا باتباع شرع غيره

بدل أن يقول كل هذا، فإنه يقول: لا إله إلا الله. فقوله لا إله إلا الله دلالة على استجابته لهذه المعاني.

****

هذا ولا معنى للكلام عن بقية الشرائع كالصلاة وغيرها إذا كان المرء يجهل معنى لا إله إلا الله ، فلا يدعى إليها حتى يحقق التوحيد.

برهان ذلك : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ،[وفي رواية إلى أن يوحدوا الله] ، [وفي رواية فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل] فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ " .

رواه مسلم.

يفهم من الحديث أنهم إن لم يوحدوا الله فلا حاجة لدعوتهم إلى الصلاة، إذ لا تقبل منهم بدون توحيد.

لقد كانت الصلاة دلالة على إسلام فاعلها يوم كان لا يصلي إلا من يوحد الله ، فهنا يمكن أن يستدل بالفرع على ثبوت الأصل، أما إذا كان الأصل فاسدا من أصله فلا يستدل بالفرع على ثبوت الأصل، وهذا يوم أصبحت الصلاة يفعلها من يوحد الله ومن يشرك به، فلم تعد قرينة خاصة بالموحدين، والموحدين فقط.

إذا كان من قال لا إله إلا الله يحكم بإسلامه مطلقا، فلماذا حكم الصحابة بكفر قوم مسيلمة الكذاب مع أنهم يقولون لا إله إلا الله ؟؟

هذا لنعلم أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله حكم بإسلامه.

والسؤال الجوهري الذي يطرح نفسه هو : متى يحكم على قائل لا إله إلا الله بالإسلام؟؟

الجواب: إذا كان قائلها عالما بمعناها عاملا بمقتضاها

عالما بمعناها: من أنها تعني إفراد الله بالألوهية وإخلاص العبادة له والبراءة من كل أشكال الشرك وأهلها.

عاملا بمقتضاها: اعتقادا وقولا وعملا.

-فإن قال قائل : فما بال حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله). فلم يشترط النبي صلى الله عليه وسلم سوى مجرد التلفظ بكلمة التوحيد لا إله إلا الله.

-نقول وبالله التوفيق: المقصود من قالها عالما بمعناها عاملا بمقتضاها، والدليل على ذلك دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل: 36).

ويشهد لذلك روايات الحديث الأخرى:

- ففي رواية قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله.

- وفي رواية قال: من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله .

ولا تكون الشهادة إلا عن علم بمدلولها ، كما قال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وقوله: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون).

كما لا يكون عاملا بمقتضاها إذا كان جاهلا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من إفراد الله بالألوهية وإخلاص العبادة له والكفر بما يعبد من دونه.

هذا بخصوص الشبهة المتعلقة بمن قال لا إله إلا الله، أما بخصوص من أظهر الشعائر كالصلاة وغيرها، فهذه نصوص بين يديك تبين كيف تعامل المسلمون الأوائل مع من أتى بها وهل اعتبروها دلالة على إسلام فاعليها أم لا ؟

***** شعيرة الصلاة :*****

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته) رواه البخاري .

(من صلى صلاتنا) هذه الصلاة كانت – يومئذٍ – دلالة على إسلام فاعلها إذ كانت خاصة بالمسلمين ، فلم يكن هناك من يصلي ويشرك بالله ، ففعلها من الإنسان يدل على أنه ليس من المشركين . ففي إطار هذه الملابسات وهذا الواقع يتنزَّل ويُعمل بهذا النص .
أما أن يختلف الواقع ويُشتهر عن قوم أداؤهم للصلاة مع شركهم بالله ، فلا ينزَّل عليهم هذا النص (من صلى صلاتنا ...) إذ لا يُعمل بالنص إلا في إطاره والواقع الذي أنزل فيه .
ولتوضيح هذا المعنى نقول :
قول ابن عباس رضي الله عنهما (كفر دون كفر) قيل في حكام مسلمين مستندهم شرع الله انحرفوا عن الحكم بما انزل الله في بعض القضايا ، فلا ينزَّل قول ابن عباس (كفر دون كفر) على واقعنا مثلا (أي : في حكام مشركين مستندهم شرع الطاغوت)، فقول ابن عباس لا يصحُّ تنزيله إلا في واقع يشبه الواقع الذي قيل فيه .
نخلُص إلى أنَّ الصلاة إذا كان يفعلها المسلمون والمشركون فهي قرينة مشتركة ، لا تصحُّ أن تكون دليلاً على إسلام فاعلها .ومن أبين الأدلة على ما قلناه : هدي الصحابة الكرام مع قوم مسيلمة الكذاب ، فقوم مسيلمة كانوا يؤدون الصلاة ، ومع ذلك كفرهم الصحابة ولم يجعلوا أداءهم للصلاة دلالة على إسلامهم .

***** بعض شرائع إبراهيم عليه السلام (كمناسك الحج وتحريم الأشهر الحرم وغيرها) :*****

ـ عن أسماء بنت أبي بكر قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري . (رواه البخاري).

هذا زيد قد حكم عليهم بالكفر مع كونه رآهم يؤدون بعض شرائع إبراهيم عليه الصلاة والسلام كمناسك الحج وتحريم الأشهر الحرم وغيرها، ولم يكن في حكم زيد أي غلو أو تشدُّد ،وذلك بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم.

***** شعيرة العمرة : *****

ـ أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: نصدُّ هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله: ولا يجرمنكم الآية.

فيه أنَّ الصحابة حكموا عليهم بالكفر استصحابا للأصل ، ولم يقولوا هؤلاء مسلمون لأجل أنهم يعتمرون ، فلم يعتبر الصحابة شعيرة العمرة دلالة على الإسلام إذ لم تكن خاصة بالمسلمين فقط في عصرهم كما في عصرنا.

ـ روى ابن جرير في تفسيره عن ابن زيد في قوله (ولا آمين البيت الحرام...) الآية، قال: هذا يوم الفتح جاء ناس يأمون البيت من المشركين يهلون بعمرة، فقال المسلمون: يا رسول الله إنما هؤلاء مشركون فمثل هؤلاء فلن ندعهم إلا أن نغير عليهم فنزل القرآن (ولا آمين البيت الحرام...) .

فيه أنَّ الصحابة حكموا عليهم بالشرك مع كونهم معتمرين ، فلم تكن شعيرة العمرة دالة على إسلام فاعلها إذ كان يؤديها المسلم والمشرك على السواء.

ـ في الصحيحين : خبر أسر الصحابة ثمامة بن أثال الحنفي، أطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحه فأسلم، وكان مما قال له: وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر.

هذا ثمامة رضي الله عنه قبل إعلانه الإسلام رحل لأداء العمرة فأسره الصحابة، واعتقدوا بكفره ولم يغتروا بكونه ذاهبا للعمرة، فالعمرة كان يؤديها المسلم والمشرك .

******************************** وأخيرا نقول : ********************************

كما يعتقد الفرد من هذه الأمة إذا أسلم أنه كان كافرا قبل أن يدخل هذا الدين مع أنه كان يصلي ويعتمر ويحج، فإنه يعتقد أن هذه الأمة كافرة لأنها ليست على دينه وإن كان أفرادها يصلون ويعتمرون ويحجون، لقد كان على دينهم ثم تركه وخالفهم، وأسلم بأمر آخر هو ما يفتقدونه اليوم.

إنه يدرك جيدا أن الصلاة والعمرة والحج ليست قرائن ودلالات وعلامات للمسلم وحده، فما دامت مشتركة يفعلها المسلم والمشرك فهي لا تدل على إسلام فاعلها.

وكما كان الأصل في قريش الكفر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مع تمسكهم ببعض شرائع إبراهيم عليه السلام ، فكذلك الأصل في قومنا الكفر مع تمسكهم بالشعائر الظاهرة كالصلاة والحج والعمرة سواء بسواء، فكما لم تشفع لأولئك لأجل شركهم بالله فكذلك لا تشفع لقومنا لوجود نفس العلة ، ألا وهي الشرك بالله.

ــــ لقد كان الناس في جاهلية ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد ونبذ الشرك والتنديد،فدعاهم إلى الإسلام ولم تكن قد شرعت الشرائع التفصيلية كالصلاة مثلا ، فأسلم من أسلم من غير القيام بتلك الشرائع وكان إسلامهم صحيحا لأنهم يملكون أصل الدين، ولم يؤمروا بالفرع (الشرائع التفصيلية) إلا بعد أن حققوا الأصل.

إسلامهم صحيح لأن الأصل عندهم
هنا الأصل ثابت وإن لم يوجد الفرع الذي يدل على ثبوته أو عدمه

ـــــ ثم شرعت الشرائع التفصيلية تدريجيا، فكان الصحابة إذا رأوا شخصا يصلي حكموا بإسلامه إذ لم يكن يصلي يومئذ إلا المسلمون، ومادامت هذه الشعيرة خاصة بالمسلمين لا يفعلها المشركون أيضا فهي قرينة ودلالة على إسلام فاعلها.

من صلى مثلا يحكم له بالإسلام،لأن الصلاة كانت خاصة بالمسلمين فقط، لا يفعلها من يشرك بالله
هنا تعتبر الصلاة قرينة ودلالة على إسلام فاعلها
هنا يستدل بالفرع على ثبوت الأصل

ـــــ ثم دب داء الشرك في الأمة ونخر فيها نتيجة الجهل إلى أن جهلت الأمة أصل دينها وبقيت متمسكة بالشعائر الظاهرة كالصلاة وغيرها، فأضاعت الأصل وتمسكت بالفرع، وعادت إلى جاهلية ثانية أسوأ من الأولى،فإن المشركين من قريش لم يدخلوا في الإسلام لأنهم فهموا معنى لا إله إلا الله وأنها تعني ترك معبوداتهم ولم يتمسحوا بالإسلام ، بينما مشركو هذه الأمة تمسحوا بالإسلام فظنوا أنفسهم مسلمين بسبب جهلهم لمعنى لا إله إلا الله ، بل وجهلوا حتى بديهيات الإسلام فأصبح عندهم جاهل الإسلام مسلما ، واختزلوا الإسلام في مجرد ترديد كلمة لا إله إلا الله،وهكذا وقعوا في شتى أنواع الكفر ولم يروا في ذلك بأسا لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ويحجون ويعتمرون، وكل من فعل فعلهم اعتبروه مسلما أخا لهم.

من صلى مثلا لا يحكم له بالإسلام،لأن الصلاة غير خاصة بالمسلمين فقط، بل يفعلها حتى من يشرك بالله
هنا لا تعتبر الصلاة قرينة ودلالة على إسلام فاعلها
هنا لا يستدل بالفرع على ثبوت الأصل

ـــــ هذا وإنه سيأتي زمان تجهل فيه طوائف من الناس الصلاة والصيام والصدقة مع تمسكهم بأصل الدين، وحينئذ تنفعهم كلمة لا إله إلا الله،برهان ذلك: عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة لا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس,الشيخ الكبير والمرأة العجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله " فنحن نقولها .فقال صلة بن زفر لحذيفة :ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا نسك؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار).

رواه ابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .
أما إذا كانت مجرد كلمة بلا توحيد كما كان يرددها أجدادنا وجداتنا فلا تنفعهم.

إسلامهم صحيح لأن الأصل عندهم
هنا الأصل ثابت وإن لم يوجد الفرع

هذا لنعلم أن القضية متعلقة بأصل الدين، فمن فهمه حق الفهم تبين له أن الناس اليوم مشركون لأنهم لم يحققوه ولم يغتر بإظهارهم لتلك الشعائر،ومن حكم على الناس اليوم بالإسلام لإظهارهم لتلك الشعائر فهذا لأنه يجهل الإسلام الحق.

****

إنه لا فرق – في الحكم - بين من يصلي للصنم وبين من يصلي لله ويصلي للصنم، فكلاهما مشرك.
فإذا كنا لا نحكم على من يصلي لله ويصلي للصنم بالإسلام ولا نعتبر صلاته لله دلالة وقرينة على إسلامه، فكذلك لا نحكم على قومنا بالإسلام ولا نعتبر صلاتهم لله دلالة وقرينة على إسلامهم، سواء بسواء.
وإذا لم يجز لنا أن نتغاضى عن صلاته للصنم وننظر فقط إلى صلاته لله ، فكذلك لا يجوز لنا أن نتغاضى عن شرك قومنا من عبادتهم للقبور وتحاكمهم إلى الطاغوت مثلا وننظر فقط إلى صلاتهم لله، سواء بسواء.

ولو أن أبا جهل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله وسأصلي وأصوم وأحج وأعتمر ولكني سأبقى على عبادة اللات والعزى.
أو قال له: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله وسأصلي وأصوم وأحج وأعتمر ولكني لن أتحاكم إلى شرعك وسأبقى أتحاكم إلى الطواغيت من الكهان.
أترى أن النبي صلى الله عليه وسلم سيقبل منه الإسلام ؟
فإن قلت : نعم. قلنا لك: هذا الذي تؤمن به ليس بدين الإسلام،إذ الإسلام ينفي الشرك (سواء كان شرك الأوثان أو شرك الرهبان).
وإن قلت : لا. قلنا لك: لماذا لا يحكم عليه بالإسلام وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلي ويصوم ويحج ويعتمر ؟

فإن قلت : إنه لا ينفعه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما لا تنفعه صلاته وصيامه وحجه وعمرته لأنه يشرك بالله.

قلنا لك: هذا هو المطلوب، فكما نحكم على أبي جهل بالكفر مع كونه يقول لا إله إلا الله ويصلي ويصوم ويحج ويعتمر لأنه يشرك بالله ، فكذلك نحكم على قومنا بالكفر مع كونهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون ويصومون ويحجون ويعتمرون لأنهم يشركون بالله، وندعوهم للدخول في الإسلام بتحقيق معنى لا إله إلا الله في ما خالفوها فيه كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم مشركي قريش.

" اللهم من كان على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق"

اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين